اسم المادة الدراسية عربي : أدب عصور متأخرة .

اسم المادة الدراسية الانكليزي :Literature of Later Ages

اسم المحاضرة : الفنون الشعرية المستحدثة (الكان والكان والقوما والبند) .

اسم التدريسي : أ. د. محمد عويد محمد الساير .

المستوى الدراسي : الثالث .

الدراستان : الصباحي / المسائي .

الاسبوع : السابع .

الكان وكان :

ظهر هذا اللون من النظم المستحدث في العراق ، في القرن الخامس للهجرة وشاع بعد ذلك في الأقطار العربية ، ونسب فضل اختراعه إلى البغداديين ، وقد سُمّي بهذا الاسم ؛ لأنهم يقولون في حكاياتهم «كان وكان» للدلالة على إنها روايات لا أساس لها ولا سند . قال صفي الدين الحلي : «ومخترعوه البغداديون، ثم تداوله الناس في البلاد ، فلم يجارهم فيه مجار ، ولم يدخل لهم مبار في غبار ، وسُمّي بذلك لأنهم أول ما اخترعوه لم ينظموا فيه يروي الحكايات ، والخرافات ، والمنصوبات ، والمراجعات ، فكان قائله يحكي ما كان وكان» . .

والكان وكان من الشعر الملحون ، ينظم بأربعة أشطر مختلفة ، ويكون الشطر الأخير منه - أي الرابع مردوفاً بحرف علة ، وتسمى الأشطر الأربعة بيتا ، ويمكن للشاعر نظم عدة أبيات على قافية الشطر الأخير ، ولهذا الفن وزن واحد هو :

مستفعلنْ فاعلاتنْ مستفعلن مستفعلنْ
مستفعلن فاعلاتنْ مستفعلنْ فعلانْ

وتكثر في هذا النظم المواعظ والزهد والحكم والأمثال . قال صفي الدين الحلي : ((واتسع طريق النظم فيه ، وظهر لهم مثل الشيخ العلامة ، قدوة الأفاضل ، جمال الدين بن الجوزي ، والشيخ الفاضل الكامل شمس الدين محمد الواعظ ، والشيخ الأفضل الأكمل شمس الدين بن الكوفي الواعظ ، رحمهم الله تعالى ، فنظموا فيه المواعظ ، والرقائق ، والزهديات ، والأمثال ، والحكم ، فتداولها الناس ، وصارت إلى الآن تستحضر في المذاكرات ، ويذكر بها في المحاضرات)). ومن طريف ما قاله صفي الدين الحلي في الفراق وما يعاني المشوق من لوعة واشتياق:

أيْ سادة هجرونـي وهم نزول بخاطري
لا اوحشَ الله منكم في سائر الأوقاتْ

***

أوحشتم العين مني وإنكم في خاطري
والقلب في النور منكم والعين في الظلماتْ

وانتقل الكان وكان إلى مصر ، وسمي بـ «الزكالش»، قال علي بن ظافر الأزدي : «و أخبرني بعض أصحابنا المصريين أن بعض جلساء الصالح بن رُزيّك أنشد بمجلسه بيتا من الأوزان التي يسميها المصريون «الزكالش » ويسميها العراقيون «الكان وكان» .

النارُ بين ضلوعي وأنا غريق في دموعي
كني فتيلة قنديلْ أموتْ غريقْ وحريقْ

ومن أبرز الشعراء في نظم الكان وكان في القطر المصري : شرف الدين بن أسد (ت٧٣٨هـ). وبدر الدين الزيتوني (ت ٩١٠هـ)، وابراهيم المعمار (ت٩٤٧هـ)، وله:

شكوت للحب دائي ... وما ألاقي من الهوى
وقلت : يا نور عيني ... قد شفني التبريحْ
قال : تدعي الحب تكذب ... مسارا عليك دلائلهْ
قلت : أكتموا في فؤادي ... فقال : هذا ريحْ

أما في الشام فلم يشع كثيراً، وقد أورد ابن شاكر الكتبي مقاطع منه للشاعر علي بن الحسن بن منصور الحريري (ت ٦٤٥هـ) وهي في غاية الفحش والبذاءة، ونذكر هنا ما قاله الشاعر عمر بن الوردي في الطاعون الذي اجتاح الشام سنة ٧٤٩ للهجرة وافني الكثيرين:

أعوذ بالله ربي ... من شر طاعون النسبْ
باروده المستعلي ... قد طار في الأقطارْ

***

يدخل إلى الدار ويحلف ... ما أخرج إلا بأهلها
معي كتاب القاضي ... بكل من في الدارْ

لا جمال ولا حسن في هذا الكان وكان ؛ ولذلك قال المحبي :((والقوما والكان كان لا يعرفهما سوى أهل العراق ، وربما تكلف غيرهم فنظمها)).

القُوما :

فن شعري ظهر في بغداد، وشاع في أواخر الدولة العباسية، ويعزى اختراعه إلى أبي بكر محمد بن عبد الغني المعروف بابن نُقطة (ت٦٢٩هـ) وقيل اخترعه شخص آخر قبله لا اعرف اسمه، وقد أشار صفي الدين الحلي إلى ذلك ، فقال : ((ومخترعوه البغداديون أيضا في دولة الخلفاء من بني العباس ، رضي الله تعالى عنهم، برسم السحور في شهر رمضان. واشتقاق اسمه من قول المغنين للتسحير في آخر كل بيت منه ، بعد غناء الرمل أو الزجل قُوما للسحور، ينبهون به رب المنزل، ويذكرون فيه مدحه، والدعاء له و تقاضيه بالإنعام ، فانطلق عليه هذا الاسم وصار علما له . ثم لما شاع وكثر فيه التصنيف ، نظموا فيه الغزل ، والزهري ، والعتاب، وسائر الأنواع ، كما قبله من الفنون الأخر . وقيل : إن أول من اخترعه منهم ابن نقطة ، برسم الخزينة الناصر رضوان الله تعالى عليه ، والصحيح أنه مخترع من قبله ، وكان الناصر يطرب له ، وجعل لابن نقطة عليه في كل سنة ما يفضل عنه من الإنعام ، فلما توفي ابن نقطة ، وكان له ولد صغير ماهر في نظم القوما والغناء به ، وأراد أن يعرف الخليفة بموت والده، ليجريه على معروفه ، فتعذر ذلك عليه ، فصبر إلى دخول شهر رمضان. ثم أخذ أتباع والده من المسحرين ، ووقف في أول ليلة من الشهر

تحت الطيارة، وغني النوبة بصوت رقيق ، فأصغى الخليفة إليه وطرب له، فلما وصل إلى القوما كان أول ما قاله :

يـــــا ســـــــيد الســـــاداتْ لـــــك بـــــالكرم عـــــاداتْ
أنـــــا بُنَّـــــي ابـــــن نقطـــــهْ تعـــــيشْ، أبـــــي قـــــد مـــــاتْ

فأعجب الخليفة منه هذا الاختصار، واستحضره، وخلع عليه، وفرض له ضعفي ما كان لأبيه)). وأورد ابن حجة الحموي هذا الخبر بلا تغيير ولا تعليق. وأشار اليه ضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٧هـ) دون أن يذكر اسمه، فقال: «بلغني أن قوما ببغداد من رعاع العامة يطوفون بالليل في شهر رمضان على الحارات ، وينادون بالسحور ، ويخرجون ذلك في كلام موزون على هيئة الشعر ، وإن لم يكن من بحار الشعر المنقولة عن العرب ، وسمعت شيئا منه ، فوجدت فيه معاني حسنة ، مليحة ، ومعاني غريبة» والقُوما ينظم بأربعة أشطر ، ثلاثة منها بقافية واحدة وروي واحد ، وهي الأول والثاني والرابع ، والشطر الثالث أطولها وهو مهمل القافية ، ومجموع الأشطر الأربعة يسمى بيتاً أما وزن القوما فهو : مستفعلن فعلان (أو فاعلان) وأغلب هذا الفن جاء في المديح ، مثل قول صفي الدين الحلي في الملك المؤيد اسماعيل بن علي بن محمود صاحب حماة المتوفي سنة ٧٣٢ للهجرة:

لازالَ ســـــــــعدكْ جديـــــــــدْ دايـــــــمْ وجـــــــدكْ ســـــــعيدْ
ولا برحـــــــــت مهنَّـــــــــى بكـــــــل صـــــــومٍ وعيـــــــدْ

البند:

فن ادبي نشا في جنوب العراق في القرن الحادي عشر للهجرة ثم شاع في منطقة الخليج العربي طيلة ثلاثة قرون.

ويكتب البند على هيئة النثر ، وهو ذو وزنين : الرمل والهزج يبدعان في فنية مستندة إلى قواعد العروض العربي.

والبند، له شبه بالشعر الحر من حيث إقامة الوزن على «التفعيلة» دون الأشطر. ويبدو أنه لم يكن دائما بأشطر متباينة ، فهناك بنود ذات اشطر متساوية في الطول كالشعر العمودي من نحو ما نجد في بعض بنود الشيخ حسن العشاري (ت ١٢٠٠هـ).

وقد اشتهر الكثيرون في نظم البند ، أمثال شهاب الدين أبي معتوق الموسوي (ت ١٠٨٧هـ) ، وعلي بن باليل الدورقي الجزائري (ت ١١٠٠هـ) ، وعبد الرؤوف بن الحسين الحسني الجد حفصي (ت ١١١٣ هـ) و محمد بن احمد الزيني (ت ١٢١٦هـ) ومحمد بن اسماعيل الملقب بابن الخلفة (ت ١٢٩٧هـ) ، وعبد الغفار الأخرس بن عبدالواحد (ت ١٢٩٠هـ) ، والشيخ احمد بن درويش علي البغدادي الحائري (ت١٣٢٩ هـ) .

وقد درج العراقيون على إنشاد البنود على إحدى طريقتين ، إما أنهم يقرأونها معربين اواخر كلماتها ، ويغلب هذا في احوال القراءة السريعة ، وإما أنهم يقفون اختياره في مواضع القوافي حيثما يمكن الوقف، فيكسبون البند ظرفأ ورشاقة وموسيقى ، قد لا نجدها في سواه من المنظوم الخارج على عمود الشعر من الموشح وما يجري مجراه ، وهذه هي الطريقة الشائعة في الإنشاد.

وقد توسع عدد من الشعراء في نظم البنود ، مثل علي بن باليل الدورقي الجزائري احد شعراء الأحواز البارزين ، الذي جمع قسما من بنوده في صنف، قال في مقدمته: «هذه نبذة بنود قد بندتها على بحر الرمل ، وعدتها مئة وثلاثة وخمسون بند، غزلاً ومدحاً ، وقد وضعت كل بند على اربعين كلمة اسما كانت او فعلا او حرفا، مشيرا في كل منها إلى مسألة علمية ، او صناعة بديعية ، وإلى كل من الأمرين المعية ...».

والبنود شبيهة بالشعر العربي الموروث من جهة الموضوعات كالمديح والرثاء والهجاء والوصف ... ومثال على ذلك قول عبدالغفار الأخرس في مدح السيد سليمان بن السيد علي القادري الكيلاني المتوفى سنة ١٣١٥ للهجرة:

((محبٌ ذائبُ الدمع ، رماه البين بالصدع ، بكى من حرقة الوجد ، على من حفظ العهد ، وخشف ناعم الخد، مليح عبل الردف ، صبيح لين الوطن ، ادار الكاس والطاس ، وحاكى الورد والآس ، لعمري منه خدا و عذارا، ولقد طالت عليه حسراتي بعدما كانت قصارا ، فهل يرجع ما فات ، و هيهات وهيهات ، فلو تنظر اشياء نظرناها ، بأيام قضيناها، بحيث ابتسم الزهر ، وقد بلله القطر ، فسلكُ اللؤلؤ الرطب بجيد الغصن مثبوت ، وطرف النرجس الغض بخد الورد مبهوت ، وللأوراق تصفيف، وللورقاء تصويت ، ووشي الحسن في الآفاق محمر ومثبوت ، وسيف البرق مشهور ، وقلب النهر مذعور ، وشمل الأرض بالأزهار مجموع ومنثور)).